الاعتقاد بان الصهيونية مجرد تابع او ذيل للقوى الاستعمارية، لكنها، بالتحديد، قوة فاعلة لها مصالحها الخاصة والمرتبطة عضويا بالقوى والمصالح الاستعمارية. والتأكيد على نمط هذه العلاقة، امر له اهميته وليس هنا مجال الخوض فيه.

ويمثل الموقف الصهيوني من فلسطين، وتصور مفكري الصهيونية لدور دولتهم في المنطقة، الوجه الثاني للنزعة الاستعمارية للفكر الصهيوني. فانطلاقا من المفهوم الاستعماري التقليدي المعروف «بعبء الرجل الابيض» يفكر قادة الصهيونية منذ البداية بانفسهم «كرواد حضارة» الى بلد متخلف ومنطقة متخلفة. وفي كتابات هرتسل، نقرأ عبارات تصف الدولة اليهودية في فلسطين «بحصن لاوروبا في وجه اسيا» و «طليعة في وجه البربرية»، وفي حديث لهرتسل يقول: «سنرجع الصحة الى مركز الوباء في الشرق. سنبني سكك حديد في اسيا، ونشق الطرق للامم المتحضرة، وهذه الطرق لن تكون في يد دولة كبيرة واحدة بل للجميع»(٢).

٢ ــ ... وفكر عنصري

لقد صورت الصهيونية، المسألة اليهودية بانها عملية اضطهاد لليهود، كل اليهود، بغض النظر عن تكوينهم الاجتماعي او الطبقي، ولا مجال لمنع هذا الاضطهاد او لتعايش اليهود مع الاخرين مادام اليهود مشتتين ويفتقدون الهوية القومية، التي لا يمكن توافرها الا باقامة الدولة اليهودية. وبعبارة اخرى، كرست الصهيونية مبدأ الانفصام العنصري كمبدأ اساس في الايديولوجية الصهيونية، واصبحت محاربة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها من صلب عمل الحركة الصهيونية، ورحبت بكل عمل من شأنه عزل اليهود عن المجتمعات التي يحيون فيها.

ومن ناحية ثانية، فان اثارة مشاعر التمييز والتفوق العنصري، مثلت اداة بيد الصهيونية لربط اليهود بعضهم بالبعض الاخر. من هنا جاء مفهوم «الشعب المختار» والتفسير الصهيوني لديمومة البقاء اليهودي، مبنيا على افتراض مبدأ التفوق والتفرد العنصريين. ويعتمد هذا المفهوم على ماجاء في التوراة من وصف اليهود «بالشعب المختار».

ولقد اكد كثير من رواد الصهيونية على صفة «الامتياز وتفوق اليهود على الامم الاخرى» بصفات معينة، فاحاد هاعام، احد الرواد الصهاينة، يؤكد على «تفوق اليهود الاخلاقي على باقي الامم» وحسب رأيه، فان مايعنيه مفهوم الشعب المختار، هو «تفوق اليهود من الناحية المعنوية والاخلاقية» وان «الله اختار اليهود ليعطوا النموذج الاعلى للاخلاق، ويجب ان يتحملوا، في سبيل ذلك، كل المتاعب»، والحاخام اسحق كوك يضفي سمة دينية قومية على مفهوم الشعب المختار، فالله حسب رأيه «اختار اليهود كي يطهروا العالم كله من الشوائب والظلمات»(٣). ومثل هذه الاراء العنصرية، لابد ان تترك عند بعض اليهود ذلك الشعور الخاص بالانتماء الى «الشعب المعجزة»، وتصبح الدولة اليهودية وسيلة لتحقيق «الرسالة الخاصة» لليهود.

وفي اطار مثل هذه الافكار، من الطبيعي ان يمثل رفض اليهود التعايش مع العرب في فلسطين، وجها واضحا لهذه النزعة العنصرية للفكر الصهيوني.